



من سيرة أعلام الشهداء هـ

أبو حمزة الأردني رحمه الله



بسم الله الرحمن الرحيم

أبو حمزة الأردني

أعني البطل المجاهد، والجبل الأشمّ (نضال عربيّات)، أو (أبو محمّد)، أستاذ علم الشّريك ببلاد الرافدين، وأوّل من أرسى دعائمه وثبّت أركانه، ويرجع إليه الفضل بعد الله في علم تشريك السيارات، فهذا الأستاذ له الفضل بعد الله في معظم العمليات الاستشهادية التي سبقت مقتله، بدءاً بالحكيم ومروراً بـ "ديملا" في الأمم المتحدة، والقوّات الإيطالية وأوكر الكفر في فندق شاهين ومطعم نبيل، وسائر كُبريات العمليّات الاستشهادية؛ فمن هو عن قوُب؟

شابٌ هادئ الطّبع ليّن الجانب، حسنُ العشرة لا تفارقُ البسمة وجهه، لا يخلو حديثه من دُعاة لطيفة أو تعلّيق ظريفة، إن جالسته ظننته يعرفك أو تعرفه منذ سنين، يطوي عنك الغُربة، ويرفع حجاب البعد ليستقر في سرّويداء قلبك، وكثيراً ما يبتدره السّائل: أظنّنا التقينا سابقاً - وما كان -، إلا أنّ الأرواح جنودٌ مجنّدة، فما نعارف منها ائتلف وما نثاكر منها اختلف.

من أسرة عريقة ميسورة الحال، أبوه - كما يقال وكما يظهر - من ستمه صاحبُ خلُق ودين ومن أهل المساجد، إذ لمّ سمع بقتله، احتسب واسترجع وقال: "الحمد لله الذي رزقه ما كان يتمنى".

سافر الشهيد إلى أفغانستان ثم إلى كردستان العراق، وكان حاضراً مع مجموعة من العرب جلّهم شاميّون، وكان كما عهدناه، لا يعرف الخوف طريقاً إليه وظلّ جندياً مجهولاً، حتى انسحب الإخوة من الجبال لضراوة القصف، ثم عاد الشّهيد إلى بغداد وانضمّ إلى ركن المجاهدين، لا، بل كان من أوائل السائرين في الركب.

تزوَّج أبو حمزة (نضال) من صاحب المكانة الرفيعة، وقدم الصّدق والسّ بق في التوحيد والجهاد، (الحاج ثامر) رحمه الله، فرُزق بولدٍ أسلم محمّد؛ لذا كان يكنّى بأبي محمّد؛ ولكيفيّة مقتله قصة هي بيت القصيد وعُنوان الشخصية وبرهان الشجاعة.



كان قد أُوكل إليّ وإليه عملٌ مهمّ، فجلست وإياه في غرفةٍ على انفراد، نعدّ الخطّة ونرتب ما أحضرناه من مواد، وأجلّسنا أحد الإخوة حراسةً أمام البيت، وحتى لا يدخل علينا أحد. وكان البيت في جزيرة الرّمادي، وهو بيت الشّجاع الهمّام اللّيث الشهيد (أبو فارس)، أسأل الله أن يخلّفنا فيه خيراً، فقد كان وكان، ولكن الحمد لله، ولعلّي أعود إلى سيرته هو الآخر قريباً ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ فقد كان نعم السّنّد وخير الرفيق. أقول؛ جلسنا سوياً وإذا بالظّهر قد حان مواعده، فقلت له: لا بارك الله في عملٍ يُلهي عن الصلاة. فذهبت للوضوء، ومن عادة بيوت العرب، أن تكون محالّات الوضوء والغسل بعيدة عن البيت، وكان البيت يقع بالقرب من السدّة (وهي شارع مرتفع عن الأرض بئٍ لكي يكون سداً لنهر الفرات).

أقول: ذهبت للوضوء؛ وأنا بداخل أحد المرافق، طرّق علي أحد الإخوة الباب طرّقاً شديداً مفزعاً يقول بصوت عالٍ (الأمريكان... الأمريكيان)؛ فخرجت مسرعاً ونظرت إلى طريق السدّة، حيث لا يوجد طريقٌ للبيت غيره، فلم أر شيئاً، فقلت له: أذهبوا يا أخي؟. فأشار إليّ أن خلّفك.

وإذا بالبيت محاصراً من جميع الجهات بعجلاتٍ "الهمر" تحيط به؛ اثنتان في الأقلّ منها وجهت الوشاشات مباشرةً إلينا؛ فقلت في نفسي: الآن لو تحرّكنا يجعل جسدي كالغربال، إذ ليس بيننا وبينه سوى خمسة عشر متراً، لكنّ الله سبحانه وتعالى وفقّاً للجري في اتجاه الطريق (السدة)، وجاء جنديّ أمريكيّ يعدو خلفنا حتى يأسرنا، إذ ليس معنا سلاح، وإذا بالأسد المصور أبي حمزة يخرج من البيت، وكان ماهراً جداً في استخدام المسدس الذي كان لا يفارقه في يقظةٍ أو نوم، ووجّه مسدسه نحو الجندي الأمريكيّ، وفي خفة ومهارة أصابه برأسه، فما شعرنا إلا وهو يسقط على وجهه، فانشغل الجنود به، وشاغلهم هو حتى هرب جميع من في المنزل من المجاهدين.

حتى أنه قبل إطلاق النار من مسدّسه، دخل إلى المنزل وأخرج النساء وأراد أن يخرج من المؤخرة، إلا أن الأمريكيان كانوا قد حاصروا المنزل من كلّ جهاته بواسطة الجاسوس العارف بدروب المنطقة، ولذا لم نشعر بهم ولم يشعر بهم الحارس.

وعودة إلى البطل، بعدما نفذت ذخيرته، أخرج رمانة يدويّة كانت معه، ورماها على الصليبيين فاستقرت بداخل "همر" فأحرقتها، وأحرقّت معها أربعة من القلوب السوداء ، حتى أنّي رأيتُ الموحّيّ قهبط إلى البيت ، لحمل قتلاهم وجرحاهم في معركة مع مجاهد واحد فقط، حمى إخوانه بنفسه فرحمة الله عليك أيها الحبيب.

وبعد انتهاء المعركة، وبعد يومٍ منها، ذهب والدُ أحد الإخوة إلى المنزل، وكان يعرف أبا حمزة، فأقسم بالله أن رائحة المسك كانت ملأت البيت الذي صيّره الأمريكيان خراباً ، بعدما سرقوا كل ما ادّخرته هذه الأسرة من مال، وأذكرُ أنّي قابلتُ الشهيد أبا فارس رحمه الله صاحب المنزل، فقال عن البيت والمال والشرّات الذي أصابهم "(فدوة)، كلنا فداء لهذا الدين وليس المال فقط"، فرحمة الله على الجميع وأسأل الله أن يجمعنا بهم ولا يجرمنا أجرهم.

والصبرُ أجبرُ للفؤادِ و أجمُلُ	الله حسي حينما تترجلُ
أسفُ عليك و حرقةٌ و تمللُ	والله حسي حينما يجتالني
غصصا، ودمعي في ركابك يهملُ	والله حسي حين أجتزع الأسي
برحي المنية صولة لا تمهلُ	والله حسي كلما صالت بنا
يتلوه في عين المصيبة جحفلُ	ذهب الذين أحبهم في جحفلٍ

بقي أن أذكر، بأنّ الشهيد أبا حمزة كان قد أخذ جثته الأمريكيان، ثمّ سلّموها لمستشفى الرّمادي فتم كّنّا من إخراجها بعد عشرين يوماً ودفّلّاها فللّ الحمد. ملحوظة: لم يكن معي سلاحٌ لأنني ذهبت للوضوء، إذ إنني كنتُ قبلها أحمل حزاما ناسفاً وبندقية، تركتهما جميعاً لما ذهبت للوضوء، فعاهدتُ نفسي ألا أترك سلاحي حتى وأنا ذاهبٌ للوضوء، والله الحافظ.

وكتبه

أبو إسماعيل المهاجر